﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ [يونس: 7 - 8]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهُما:

بيانُ الأدِلَّةِ يَعقبُهُ حالُ النّاسِ منها إعراضًا وإقبالًا

لَمّا بيّنَ الحقّ ﷻ الآياتِ والدّلائلَ الواضحةَ على وجودِه تعالى وأنّهُ الخالقُ الحكيمُ، وعلى القولِ بالحشرِ والنّشرِ والبعثِ والجزاءِ على الأعمالِ؛ ذكرَ عَقِبَ ذلك بيانَ أحوالِ الكافرينَ بها، وبهم بدأ قبل بيان أحوالِ المؤمنينَ الموقنينَ بها، ثمّ بيّنَ جزاءَ كلّ من الفريقينِ[1]، فالمناسبة بين الآيات هيَ بيانُ حال النّاس من الأدلَّة الظّاهرة الباهرة، وما يَسْلكونَهُ من مسالكِ الإيمانِ والكُفران، وجزاءِ ذلك في الآخِرَة، بيانًا للحقِّ والعَدْل.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَرْجُونَ﴾: فعلٌ مضارعٌ مسندٌ للجماعةِ، والجذرُ اللّغويّ منهُ الرّاء والجيم والحرف المعتلّ، ومنهُ الرّجاءُ، وهوَ الأملُ ونقيضُ اليأسِ، وربّما عبّرَ عن الخوفِ بالرّجاءِ اتّساعًا، ومنْ معانيهِ الظنّ الّذي يستلزمُ نيلَ ما فيهِ المسرّة، وللرّاجي حالانِ؛ هما: الأملُ لما يرجوهُ، والخوفُ منْ فواتِه، والرّجاءُ في أصلِه: إشرافُ الجسمِ على مهواةٍ، كَبِئْرٍ ونحوِه، ومنهُ أُخذَ الإشرافُ على كلِّ خيرٍ كما يشعرُ الرّاجي أنّهُ مشرفٌ على خيرٍ وطامعٌ فيهِ ومتوقّعٌ الحصولَ على ما يرجوهُ[2]، ومعنى ﴿يَرْجُونَ﴾ في الآيةِ: يظنّونَ وقوعَ الشّيءِ غيرَ مقيّدٍ بكونهِ محبوبًا فـ ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أيْ: لا يظنّونهُ أوْ يتوقّعونهُ[3].

(1) الهرريّ، تفسير حدائق الرّوح والرّيحان: 12/128.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رجو).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/99.

2) ﴿لِقَآءَنَا﴾: مصدرٌ للفعلِ لقيَ يلقَى لقاءً، الجذرُ اللّغويّ منهُ: اللّام والقافُ والياءُ، وإذا صادفَ شيءٌ شيئًا آخرَ أو استقبلهُ أو واجههُ فقدْ لقيهُ، واللّقاءُ قدْ يكونُ بالحسِّ والإدراكِ، وقدْ يكونُ بالبصرِ والبصيرةِ، والمرادُ بملاقاةِ اللّه ﷻ: المصيرُ إليه في الآخرةِ، وأنْ يلاقيَ المرءُ ثوابَهُ وعقابَهُ، واللّقاءُ في الآيَة الكريمَةِ بمعنى يومِ القيامةِ يومِ الجزاءِ والعقابِ[1].

3) ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ﴾: فعلٌ ماضٍ مسندٌ للجماعةِ، والجذرُ اللّغويّ منهُ: الطّاءُ والميمُ والنّون، واطمئنانُ النّفسِ: سكونُها واستئناسُها، وهوَ الأصلُ في الطّاءِ والميمِ والنّونِ، والسّكونُ يحصلُ بعدَ التّهيّجِ والانزعاجِ، والنّفسُ المطمئنّةُ هيَ المؤمنةُ الّتي أخبتتْ لربّها، وكلّ ما جاءَ في القرآنِ من الاطمئنانِ والطّمأنينةِ يأتي على معنى السّكونِ النّفسيّ والقلبيّ ونبذِ القلقِ والوَجلِ والحذرِ[2]، ومعنى ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ﴾ في الآيةِ: أنّهم سَكَنوا إليْها سكونَ الواجدِ إلى محبوبِه، وهذهِ غايةُ الانكبابِ والانغماسِ في المتَعِ الجسديّةِ[3].

4) ﴿غَٰفِلُونَ﴾: جمعُ سلامةٍ، مفردهُ غافلٌ، والجذرُ اللّغويّ منهُ الغَيْنُ والفاءُ واللّامُ، وهو يدلُّ على التّركِ سهوًا أوْ عمدًا، والغفلُ فَقْدُ الفِطنةِ، ورجلٌ غُفْلٌ: الّذي لم يختبرِ الأمورَ، والغفلةُ "سَهْو يَعْتري الإنسانَ منْ قلّةِ التَّحفُّظِ والتَّيقّظِ"، والغفلةُ في الدّنيا: تركُ النّظرِ والاعتبارِ بسببِ حبِّ الشّهواتِ، وعامّةُ ما وردَ في القرآنِ الكريمِ منْ مادّةِ غفلَ وما اشتُقَّ منْها هوَ في عدمِ التَّنبُّهِ[4]، ومعنى ﴿غَٰفِلُونَ﴾ في الآيةِ أيْ: جاحدونَ تاركونَ آياتِنا الّتي أنزلناها عَليْهم وفيها هدايتُهم.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُبيّنُ تعالى حالَ الّذينَ لا يَعتقدونَ لِقاءَهُ يومَ البعثِ للحسابِ والجَزاءِ، بِسَببِ ما يَعْتريهم من الاطْمِئنانِ للحياةِ الدُّنيا، وغَفْلَتِهم عَن عَظيمِ الأدِلَّةِ والبَراهين والآياتِ، بأنَّ

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (لقى)، والخازن، لباب التّأويل: 3/175.

(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والزّبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (طمن).

(3) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/562.

(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (غفل).

جَزاءَهم النّارُ بما كانوا يَكْسِبونَهُ في الدُّنيا بِسَبَبِ عَظيمِ الغَفْلَة، وكَبيرِ الشَّهوةِ، وأنَّ الاعتقادَ الباطِلَ لا يتوقَّف على الأفْكارِ الباطِلَة، بَل على المشاعِرِ والأحاسيسِ واليَقَظة لِأمرِ اللّه تَعالى.

الاطمئنانُ للدُّنيا والغفلةُ عن آياتِ الله مَسلكُ الفُجّار

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### بلاغةُ الاسْتِئنافِ في الآيَةِ:

قولُه تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ اسْتِئنافٌ وعيدٍ لِمَن يكفرُ بالبعثِ ولم يُرِدِ الحياةَ الآخرةَ ولَم يتفكّرْ في الآياتِ، وهوَ استئنافٌ ناشئٌ عن الاستدلالِ على كُفرِهم بكلِّ ذلكَ، جمعَ فيهِ بينَ الاستدلالِ والوعيدِ؛ فهوَ استدلالٌ لأهلِ الحِجا، ووعيدٌ لِمَنْ أعرضَ عن الحقِّ، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى عدمِ انتفاعِ هؤلاءِ بما أُقيمَ لهم منَ الأدِلّةِ؛ لأنّهم سادِرونَ في غيّهم، وإنّما ينتفعُ بها المتّقونَ العالِمونَ[1].

جمعَ الاسْتِئنافُ بَين وعيدِ المكذِّبينَ واسْتِدلالٍ لِلمؤمنينَ أهلِ العُقولِ الرّاجِحَةِ

### فائدَةُ التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ الجَمعيّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

أفادَ التّعبيرُ بالاسمِ الموصولِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ الإيماءَ إلى أنّ الصّلةَ المشيرةَ إلى نَفْيِ الرّجاءِ في لِقاءِ اللّه تعالى هيَ علّةُ وقوعِ الخبرِ[2]، وما يَكون لَهُم مِن العذابِ الشَّديدِ، فَفيهِ بَيانُ أَثَرِ الاعْتقادِ في الجزاءِ، وأنَّهُ الأصْلُ الّذي تُبنى عَلَيهِ الأعمالُ، وجيءَ بِالاسْمِ الموصولِ جَمعًا؛ لبيانِ اجتماعِ الضّالينَ على مُعتقدٍ واحدٍ، وإنْ تَفرَّقوا فيما سواهُ، وأنَّ حالَهُم في كلِّ زمانٍ ومكانٍ يَتكرَّر بِذلكَ الاجْتماعِ على مائدَةِ الكُفْرِ والبُهتانِ.

الجزاءُ مَبنيٌّ على الاعتقادِ فهو الأصْلُ في الأعمالِ القَلْبيَّةِ والسُّلوكيَّةِ

### فائدَةُ العُدولِ إلى الاسْمِ الظّاهرِ في: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾:

عدلَ النَّظْم القرآنيُّ عَنِ التّعبيرِ بالخِطابِ في الآياتِ السّابقةِ في قولِه: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ إلى التّعبيرِ بالاسمِ الظّاهرِ في هذهِ الآيَةِ؛ لِوقوعِ هذهِ الجملةِ الدّالّةِ على الوَعيدِ مَوقعًا صالحًا لأنْ

الجَمعُ بَين وَعدِ المؤمنينَ بِثَباتِهم على الحقِّ ووَعيدِ الكافرينَ بِعِنادِهم على الباطِلِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/98.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/99.

يعلمَهُ جميعُ النّاسِ؛ المؤمنونَ والكافِرونَ على حدٍّ سَواءٍ[1]، فيَكون ذلكَ لِلمؤمنين مزيدَ إيقانٍ بالحقِّ الّذي يؤمنونَ بِهِ، فهيَ لَهم وَعدٌ، ولِلكافرينَ مَزيدُ وَعيدٍ لِلباطلِ الّذي يَلِجّون فيه، والضّلالِ الّذي يخوضونَ فيهِ.

**غَرَضُ التّقديمِ في: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾:**

مَجيءُ الخَبَرِ مُتَراخيًا يُفيدُ تَشْويقَ السّامعِ لِتَحْريكِ عَقْلِهِ وقَلْبِه

المُسنَدُ إليْهِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ – وهو الاسمُ الموصولُ – قُدِّم على المسْندِ وهو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾؛ لِغَرضِ التّشويقِ، فإنَّ السّامعَ يَترقّبُ مَعْرفَةَ ما لِأولئكَ الّذينَ لا يَرْجونَ لِقاءَ اللّه تَعالى، فَجاءَ المُسْنَدُ مُتأخّرًا ومُركّبًا؛ لِيَقعَ الخَبَرُ في نَفْسِ المُتلقّي قَويًّا، فَيوقِظ سُباتَ العُقول، ويحيي بذْرةَ الإيمانِ.

وإنّ ممّا يزيدُ منْ عنصرِ التّشويقِ ويُقوّيهِ طولَ جملةِ الصّلةِ منْ نفيٍ وفعلٍ وفاعلٍ ومفعولٍ ومضافٍ إليهِ، ثمَّ ما عطفَ عليها منْ جملةِ الرّضا بالحياةِ الدّنيا والاطمئنانِ بها والغفلةِ عن الآياتِ، وهيَ كما تَرى تُعدّ فاصِلًا بينَ المُسندِ إلَيهِ والمُسندِ وهو ممّا يزيدُ مِن عاملِ التّشويقِ.

**سِرُّ التّعبيرِ عَن إنْكارِ البَعثِ بِـ: ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾:**

تَكْرارُ (الَّذينَ لا يَرْجونَ لِقاءَنا) لِيَكونَ عَلامةً فارقةً علَيهِم في القرآنِ

جاءَ التَّعبيرُ عَن إنْكارِ البَعْثِ بِقَولِه تعالى: ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ في سورةِ يونُس ثَلاثَ مرّاتٍ، في هذهِ الآيَةِ، وفي قولِه: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١﴾ [يونس: 11]، وقوله: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ [يونس: 15]، وفي سورَةِ الفُرقان ﴿*وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ [الفرقان: 21]، ولم يعبّرْ بتعبيرٍ آخرَ مرادفٍ لهُ في المعْنى منْ نحوِ قوله: (إنَّ الّذينَ يكذّبونَ بلقائِنا)؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/99.

لأنّهُ رامَ أنْ يكونَ نفيُ رجائِهم علامةً فارقةً على أمثالِ هؤلاءِ[1] ثمّ الحكمَ عليهم بأنّهم أصحابُ النّارِ هُم فيها خالدونَ، فإذا ذُكِر الّذين لا يَرجونَ لقاءَ اللّه تعالى؛ انْصَرَف الذِّهْنُ إليْهِم، وهذا في غايَةِ التَّقْبيحِ لهُم.

### نُكْتَةُ اسْتِعمالِ صيغَةِ المضارِعِ ﴿يَرْجُونَ﴾:

العِنادُ عَلى إنْكارِ البَعْثِ سُلوكٌ قَلْبيٌّ واعْتِقادٌ عَقْليٌّ

عُبِّر عَن نَفْي الرّجاءِ بصيغةِ المضارِعِ: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ للدّلالةِ على اسْتمرارِهم في ذلكَ، بِسَببِ غَفلتِهم المُسْتوليةِ عَليهم وإنْكارِهمُ البَعثَ والجزاءَ، وهذا يَدلُّ على سوءِ اعْتقادِهم وظنِّهم باللّه تَعالى، فمَشاعِرُهم واعْتِقاداتُهم وأفْكارُهُم مُتَجدِّدَةٌ في إنْكارِ البَعْثِ.

### بَلاغةُ اسْتِعمالِ: ﴿لِقَآءَنَا﴾:

تَفخيمُ العَذابِ والثّوابِ عائدٌ إلى عَظَمةِ الفاعِلِ الحَقيقيِّ لَهُما

استعمالُ مُفْرَدَةِ اللّقاءِ في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾؛ لِكَونِ اللِّقاءِ دالًّا على المُعاينَةِ والرُّؤيَةِ في الأصلِ بإجْماعِ أَهْلِ العَرَبيَّة[2] – إلّا إذا منعَ مِنْ ذلكَ مانعٌ عَقْليٌّ أَوْ شَرعيٌّ – ، فَفي اختيارِ لَفْظِ اللّقاءِ إيماءٌ إلى شناعَةِ ما يعتقدُهُ هؤلاءِ، وما سيُحْرَمونهُ مِنْ لذَّة النَّظرِ إلى وجهِ اللّه سُبحانَهُ، وجُملَةُ ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ كنايَةٌ عَنِ الجَزاءِ والحِسابِ، مع صحَّةِ إرادَةِ المعْنى الأصليِّ لِلتَّركيب، كَما هو الشَّأْنُ في الكِنايةِ.

### نُكْتَةُ الإضافَةِ: ﴿لِقَآءَنَا﴾:

الـتِـفـاتٌ مِـنَ الـغَـيـبـةِ إلى التَّكلُّم لِلإشْعارِ بِعظيمِ الأمْرِ وتَرْبِيَةِ المهابَةِ في النُّفوسِ

أُضِيفَ لفظُ اللّقاءِ إلى ضميرِ العَظَمَةِ في قولِه تَعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا إلى الاسْمِ الأحْسَن (اللّه) على طريقةِ الالتفاتِ مِنَ الغَيبةِ في قوله تَعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: 6] إلى التَّكلّم؛ وفي ذلك من تهويلِ الأمرِ وتربيةِ المهابةِ في قلوبِ العبادِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/98.
(2) ابن القيّم، حادي الأرواح، ص: 288.

ما هوَ بيّنٌ لا يَخفى[1]، وفيهِ إشعارٌ بِغَضَبِ اللّه تعالى عَلى المنكرينَ، فَلِقاءُ الحقِّ ﷻ وحِسابُهُ لا يُدانيهِ أيُّ لِقاءٍ، وفيهِ بَيانُ عَظيمِ ما اقْتَرفَهُ أولئِكَ مِن إنْكارٍ وتَكْذيبٍ لِقاءِ العَظيمِ تَعالى الذي تَنخلعُ منه القلوبُ خشْيَةً ورَهْبةً.

### مَعْنى الواوِ في: ﴿وَرَضُواْ﴾ و ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ﴾:

الرِّضا بِالحياةِ الدُّنيا دونَ الآخِرَةِ مَذْمومٌ، وهوَ أَشَدُّ ذَمًّا عِنْدَ الطُّمَأْنينَة

الواوُ في قَولِه: ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقولِه: ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ في الموضعَينِ تحتملُ العطفَ وهو الأوجهُ والأنسبُ على أنّها صفاتٌ لِلمذكورينَ في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾، فيكونُ منْ عطفِ الصّفةِ على الصّفةِ؛ فصفةُ غيرِ الرّاجينَ هي الرّضا بالحياةِ الدُّنيا، والاطمئنانُ بها، أمّا الواوُ في ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ﴾ فتحتملُ الحاليَّةَ على تقديرِ: رَضوا بها وقدِ اطمأنّوا[2]، أي: رَضوا بالحياةِ الدُّنيا حالَ كونِهم مُطمئنّينَ بِها، لا مُكرَهين عَليها، فَفيه إيماءٌ إلى عَدلِ اللّه، فَتَأمَّل!

### دلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿وَرَضُواْ﴾:

الرِّضا بِالقَليلِ الحَقيرِ دونَ الكَثيرِ الشَّريفِ بُرْهانٌ على وَضاعَةِ النُّفوسِ وتَفاهَةِ العُقولِ

التَّعْبيرُ بالرّضا في قولِه تَعالى: ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تَعريضٌ بهم؛ لأنّهم لم يُعملوا النّظرَ في الحياةِ الأُخرى الباقيَةِ، واقْتَنعوا بهذهِ الفانيَةِ وعَملوا لَها عَملَ المُقيمِ، معَ ما نصبَ لهم مِن الأدلّةِ على حَقارتِها وفَضلِ الباقيَةِ على الفانيَةِ؛ فَلِذا جعلَ الرّضا بها مذمّةً وإضاعَةً وخُسرانًا[3]، كمَن يَرْضى بِالقَليلِ الحَقيرِ، وهو يُشاهِدُ الكَثيرَ الشَّريفَ، فالرِّضا بالحياةِ الدُّنيا تَعبيرٌ عَن وَضاعَةِ النُّفوسِ، وتَفاهَةِ العُقول.

### بَلاغَةُ التّعبيرِ بالماضي:

الرِّضا بِالحياةِ الدُّنيا والاطْمِئنانُ بِها أَصْلٌ في تَجدُّدِ إنْكارِ البَعْثِ

عبّرَ بِصيغةِ الماضي في قولِه: ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقولِه: ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ في كلٍّ مِنَ الفِعْلينِ عقبَ التّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿لَا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/122.
(2) الشّهاب، حاشية على البيضاويّ: 5/7، وأبو حيّان: البحر المحيط: 6/16.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/99.

يَرْجُونَ﴾، فالتّعبيرُ بِصيغةِ الماضي لِلدّلالةِ على تَحقّقِ فِعْلَي الرّضا والاطْمِئْنانِ وتَقرّرهما، فيما يدلُّ الفعلُ المضارعُ على الاسْتمرارِ والتّجدّدِ[1]، وذلكَ أنَّ ثباتَ الرِّضا بالحَياةِ الدُّنيا ومِن ثُمَّ الاطْمئنانِ بِها، قادَ إلى تجدُّدِ الإنكارِ كلَّما طَرقَ بابَ القلبِ طارقُ الفِطرَةِ.

### مَعْنى الباءِ في ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ﴾ و﴿بِهَا﴾:

الباءُ لِلمُلابَسَةِ أوِ الـعِـوَضِ أوِ الـظّـرْفـيَّـةِ أوِ السَّبَبيَّة

الباءُ في قولِه: ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقولِه: ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ مؤذنةٌ بكمالِ المُلابَسةِ وتمامِ المصاحَبةِ والمؤانسةِ والمرافقةِ والمخالطةِ[2]؛ لِما تَبثّهُ الباءُ مِن مَعْنى المصاحَبةِ والمُلاصقةِ[3] فَهم قدْ رَضوا بالحياةِ ومالوا إلَيها ولابَسوا أحوالَها، وآنسَتْهُم شهواتُها ومَلَذّاتُها فَصاروا إلى ما تَرى.

وتَحتملُ الباءُ في الآيَةِ أنْ تَكونَ بِمَعنى البَدَلِ والعِوضِ؛ فَغفلتُهم سَببٌ في شِدّةِ تَعلّقِهم بِالدّنيا وحِرصِهم عَلَيها؛ حتّى جَعلوها عوضًا مِنَ الآخِرةِ الباقيَةِ فَعَملوا لَها وسَكنوا إلَيْها[4].

وتَحْتملُ أنْ تَكونَ لِلظَّرْفيَّةِ، أيْ: في الحياةِ الدُّنيا، أوِ لِلسَّببيَّةِ، أيْ: بِسَبَبِ رِضاهُم واطْمِئْنانِهم[5].

### نُكْتَةُ وَصْفِ الحَياةِ بِالدُّنيا:

الدُّنيا الفانِيَةُ تُشيرُ إلى الأُخْرى الباقِيَةِ وإيثارُها دَليلُ كُفْرِ روّادِها

وُصِفَتِ الحَياةُ بـ﴿ٱلدُّنْيَا﴾؛ لِأنّها مِنَ الدنوِّ والقُربِ؛ لِذلكَ شَنَّع عليهم إيثارَهُمُ الأَدْنى الخَسيسَ عَلى الأَعْلى النّفيسِ، والتّخلّي عَنِ الأَعْلى لِصالحِ الأَدْنى[6]، وهذا الوصْفُ يَقْتَضي التَّمييزَ عَنِ الحَياةِ الآخِرَةِ، فَهُما حَياتانِ: دُنيا وأُخْرى، فَقاصِرو النَّظرِ يُقبلونَ عَلى

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/122.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/122.
(3) ابن السّرّاج، الأصول في النّحو: 1/210.
(4) مكّي القيسيّ، الهداية الى بلوغ النّهاية: 5/3222، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/312.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/70.
(6) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/69.

القَريبِ الدّاني، والمؤمنونَ عَلى الحَقيقةِ يَرْتَقبونَ الآخِرَة الباقيَةَ؛ ولِذلكَ يَصفُ المَهْدِيّونَ مِن الأمّةِ الحياةَ الدّنيا بالنُّقصانِ ويَتطلّبونَ حياةً أَرْقى وأَصْفى ممّا بِها منْ كَدرٍ، فَلا يَلْبثونَ أنْ يَروا أدلّةَ وجودِها شاخِصَةً، فَضلًا عنْ إخْبارِ الصّادقِ المصدوقِ عَنها[1].

**بَلاغةُ المقابَلَةِ: ﴿لِقَآءَنَا﴾ و ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾:**

بَيْنَ قولِه: ﴿لِقَآءَنَا﴾ وقولِه: ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مقابلةٌ بينَ الآخرةِ والدّنيا، لكنْ لا على طَريقةِ المقابلةِ التّقليديَّةِ، إنّما جاءَ بالآخرةِ بتَعبيرٍ يفهمُ منهُ ما بعدَ اللّقاءِ وهوَ الجزاءُ منهُ تعالى؛ لأنّهم عَملوا لِلآخِرَةِ، وقِسمٌ مِنهم عملَ للدّنيا، وأَنْكرَ لقاءَ اللّه سُبحانَهُ، فذِكرُ اللّقاءِ منْ بابِ التّرهيبِ، فهوَ قاصرٌ، فيقفُ عندَ الحياةِ الدّنيا بما فيها منْ نقصٍ ودنوٍّ وهبوطٍ، وتظهرُ بلاغةُ المقابَلَةِ في تَشْخيصِ عَقْلِ المُنكرِ المُكَذِّبِ الَّذي يُؤثرُ ما في الدُّنيا مِن فناءٍ زائلٍ، على البَقاءِ الخالِدِ، ويُبرْهِن على أنَّ العِبرةَ بالإيمانِ الّذي يقودُ صاحبَه إلى النَّجاةِ عندَ اللِّقاءِ.

تَشْخيصُ عَقلِ المُنْكِرِ في انْطِماسِهِ عَن فَهْمِ الحَياةِ عَلى حَقيقَتِها

**بَلاغةُ تَقديمِ الرِّضا على الطّمَأْنينةِ:**

تَقديمُ قولِه: ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ على قولِه: ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ مِن بابِ تقديمِ النَّتيجةِ على العلَّةِ؛ فإنَّ مَن يَطمئنّ بالحياةِ الدُّنيا وزينَتِها وزَخارِفِها يرضَى بها، فَهُم رَضوا بالحياةِ الدُّنيا لأنَّهم قَد سَكَنوا إليها بعدَ انْزعاجٍ، واطْمَأنّوا بَعد حراكٍ.

الرِّضا بِالحياةِ الدُّنيا سَبَبُ الاطْمئنانِ لَها

ولوْ جُعلتِ الواوُ حاليّةً - وهي تحتملُ ذلكَ - ؛ فإنَّ التّقديمَ منْ بابِ الطّبعِ، على تقديرِ: رَضوا بِها في الحالِ الّتي يَكونونَ مُطمئنّينَ لَها[2]، فالحالُ تَتأخّرُ عنْ صاحبِها، والمعْنى: أنَّ رضاهُم وهُم يُشاهَدونَ على تلكَ الحالِ مِن الطّمَأْنينة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/99.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/337.

### مَعْنى الواوِ في ﴿وَٱلَّذِينَ﴾:

الواوُ في قولِه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ لِلعَطفِ، وهي إمّا مِن بابِ عطفِ الشَّيءِ على نَفْسِهِ؛ فَتَكونُ الفِرقةُ الّتي غَفلتْ عَن آياتِ اللّه هي الفِرقةَ الأولى المَوصوفةَ بِقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ فَيكونُ مِن عَطفِ الصّفةِ عَلى الصّفةِ، وإمّا أنْ تَكونَ غيرَها[1]؛ فتكونُ منْ بابِ عطفِ صنفٍ على آخرَ، وكلاهُما مذمومٌ لا يؤوبُ إلى سبيلِ الهدايةِ وإنْ ذُكّروا بأنواعِ القَوارعِ لانّهماكِهم وغَفْلتِهم.

الـغَـفْـلـةُ عَـن آيـاتِ الـلـه هيَ حَبلُ الشَّيطانِ الَّذي يُمسِّكُ بِهِ المُكَذِّبين بِالبَعْثِ

والغرضُ منْ عطفِ صفةِ الغفلةِ عنِ الآياتِ على صفةِ نَفيِ الرَّجاءِ وما تَبِعها: التّنبيهُ على أنَّ الوعيدَ إنّما أوردهُ جَمعًا بينَ الغفلةِ عنِ الآياتِ حالًا، والانْغماسِ في الشّهواتِ والمَلذّاتِ، فَلا تَخطرُ على بالِهمُ الآخرةُ والحسابُ أصْلًا[2].

### سِرُّ إعادَةِ المَوصولِ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾:

أُعيدَ الاسْمُ الموصولُ في قولِه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ بعدَ قولِه أوّلَ الآيَةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ اهْتمامًا بِالصّلةِ، ولِلإشارَةِ إلى اسْتِحْقاقِها وَحدَها فيما سَيذكرهُ بعدَها مِنَ الخَبرِ[3]، وهوَ غَفلتُهم عَنِ الآياتِ، وهذا عَلى القَولِ بِأنَّهُمُ المَذْكورونَ أوّلَ الآيَةِ، أمّا إنْ جُعِلَ الموصوفونَ بِالغَفلةِ صنفًا آخرَ فلَيسَ مِنَ الإعادةِ في شَيءٍ.

الاهْتِمامُ بِالصّلةِ والإيماءُ إلى أنَّها وَحْـدَهـا كـافيةٌ في اسْتِحْقاقِ ما بَعدها مِنَ الخَبَرِ

### نُكْتَةُ الإتْيانِ بِالجُملةِ الاسْميّةِ: ﴿هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾:

آثَرَ النَّظمُ التَّعبيرَ بِالجملةِ الاسميّةِ في قولِه تَعالى: ﴿هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ فَلم يَقُلْ مثلًا: (والّذين غَفلوا عَن آياتِنا) بالجُملةِ الفعليّةِ؛ لِمَجموعةٍ مِنَ النِّكاتِ:

غَفْلةُ المعانِدينَ ثـابِـتَـةٌ كَـثُـبـوتِ انْـهِـمـاكِـهـم في الشَّهَواتِ

(1) ابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 1/353.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/123.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/100.

أوَّلُها: أنَّهُ أرادَ مِن مَعنى الغَفلةِ إهمالَ النّظرِ في الآياتِ أصلًا، والإعراضَ عَنها، أيْ: إنّهم غافلونَ عنْ آياتِنا عَلى الدّوامِ، ولَيسَ المرادُ مَنْ تَكونُ الغَفلةُ عَليهِ ظَرفًا طارِئًا فيَغفلُ عنْ بعضِ الآياتِ في بعضِ الأوقاتِ[1]، بلْ أرادَ دَوامَ الغَفلةِ بِما تَدلُّ عَليهِ الجُملةُ الاسْميّةُ منْ مَعنى الثّبوتِ والدّوامِ[2].

ثانيها: تَحقيقُ التّغايرِ بينَ هذهِ الجملةِ وما سَبقَها منْ جملٍ فعليّةٍ؛ فيُنزّلُ التّغايرُ الوصفيّ منزِلةَ التّغايرِ الذّاتيّ الحقيقيّ؛ ليؤذِنَ بالاختلافِ بينَ هذا الوصفِ الاسْميّ وما سبقَ مِنَ الأوصافِ الفعليّةِ الأوَلِ، وأنّ الموصوفينَ بالغفلةِ يَستحقّونَ العذابَ على جهَةِ الاستقلالِ.

ثالثُها: في التّعبيرِ بالجملةِ الاسْميّةِ الدّالّةِ على غَفلتِهم توكيدٌ مِنَ الحقِّ سبحانَهُ عَلى تلكَ الغَفلةِ بموجِبِ انْغماسِهم في الأهواءِ والشّهواتِ والملذّاتِ وإسرافِهم فيها[3].

**نُكْتَةُ تَقديمِ المسْنَدِ إلَيْهِ: ﴿هُمْ﴾ ومَجيءِ المسْنَدِ اسْمَ فاعِلٍ ﴿غَٰفِلُونَ﴾:**

غَفْلَةُ المُنكرينَ لا يُرْجى انْتِباهُهم مِنها

قُدِّمَ المسندُ إلَيْه ﴿هُمْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾، وجيءِ بالمسندِ ﴿غَٰفِلُونَ﴾ اسمَ فاعِلٍ لِلإشارةِ إلى أنّهُم "غافِلونَ ذاهلونَ معَ غايةِ وضوحِها وظهورِها غَفلةً لا يُرجى انْتباهُهم مِنْها أصلًا"[4]، ولا يَقَظتُهم مِن سُباتِها السَّرمديِّ؛ لانْطماسِ العُقولِ، وغيابِ القُلوبِ.

**فائدَةُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾:**

انْحِصارُ الغَفْلةِ في آياتِ اللهِ خاصّةً تَمامُ التَّعاسَةِ في الدّارَيْنِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ عَلى المسْندِ ﴿غَٰفِلُونَ﴾، وفائدةُ تَقديمِه: القصْرُ لِلمبالغةِ، وهو "كونُ غفلتِهم غَفلةً عنْ آياتِ اللهِ خاصّةً دونَ غيرِها منَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/100، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/123.
(2) القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة: 1/76.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3521.
(4) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة والمفاتح الغيبيّة: 1/326.

الأشْياءِ"[1]، فكأنّه جعلَ الغفلةَ مَقصورةً عَلى غَفْلتِهم عَنْ آياتِ اللّه عَلى سبيلِ المبالغةِ لا الحقيقةِ؛ لأنّ غَفَلاتِهم كثيرةٌ لا يَحدّها حصرٌ.

**نُكْتةُ الإضافةِ في ﴿ءَايَٰتِنَا﴾:**

أُضيفتِ الآياتُ إلى ضميرِ العظَمةِ في قولِه تعالى: ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أيْ: "عَن آياتِنا التَّنزيليَّةِ والكونيّةِ الدّالّةِ على وَحدانيّتِنا وقُدرتِنا"[2]، تَعظيمًا وتَشريفًا لِتلكَ الآياتِ والحجَجِ، ولِإدْخالِ المهابَةِ في نفوسِ المخاطَبينَ.

تَعْظيمُ الآياتِ وإدْخالُ المهابَةِ في نفوسِ المخاطَبينَ

**بَلاغَةُ تَرتيبِ الجُملِ في الآيَةِ الكَريمَةِ:**

جاءَ ترتيبُ الجُمَلِ في قولِه تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ بعطفِ الواحدةِ عَلى الأُخْرى بالواوِ، فعَطَفَ جُملةَ الرّضا بالحياةِ الدُّنيا على جُملةِ نَفيِ الرّجاءِ، وعَطفَ جملةَ الاطْمئنانِ على جُملةِ الرّضا، وعَطفَ جُملةَ الغَفلةِ عَنِ الآياتِ على جُملةِ الاطْمئنانِ، وذلكَ على جَعلِ الموصولِ الثّاني عَيْنَ الأوّلِ، مِن بابِ ذِكْرِ النَّتيجةِ قَبلَ سَبَبِها، فَهؤلاءِ لا يَرجونَ لقاءَ اللّه؛ لأنّهم رضوا بالحياةِ الدُّنيا، ثمَّ إنَّهم رَضوا بِها لأنّهم اطمَأنّوا، واطْمَأنّوا بعدَ أنْ غَفلوا، فالغَفلةُ أصلُ البلاءِ الّذي أتى بالطّمَأنينةِ، والطّمأنينَةُ والرُّكونُ إلى الدُّنيا ورَّثَ الرِّضا بِها، فكانتِ الطّامَّةُ الكُبْرى، وهي إنكارُ البَعْثِ.

قامَ التّرتيبُ على ذِكْرِ النّتيجَةِ قَبْلَ سَبَبِها، وعَطفِ العِلّةِ عَلى نَتيجَتِها

**سِرُّ التَّعبيرِ باسمِ الإشارَةِ لِلبَعيدِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾:**

عبّرَ باسْمِ الإشارَةِ لِلبعيدِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ ولَوْ قالَ مباشرةً: (مأْواهُمُ النّارُ)؛ لَأفادَ الخَبرُ المقَصودَ، لَكِنّهُ جاءَ باسْمِ الإشارةِ عقبَ الأوصافِ الّتي وُصِفوا بِها زيادةً في إحصاءِ صِفاتِهمُ المذْمومةِ في أذهانِ السّامعينَ، وإيذانًا بأنَّ المشارَ إليهم جديرونَ بالخبَرِ، وهوَ اسْتقرارهُم في نارِ جهنّمَ

المنْكِرونَ لِلبَعْثِ جَديرونَ بِصِفاتِ الخَسارَةِ مُسْتَحقّونَ لِمآلِهِم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/100.
(2) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 7/28.

مِنْ أجلِ تلكَ الأوصافِ[1] مِن نَفْيِ الرّجاءِ، والرّضا بالحياةِ، والغفلةِ عَنِ الآياتِ، فكأنّهُ يقولُ: أَرأيتَ مَصيرَ هؤلاءِ الّذينَ هذهِ صفتُهم؟ مأواهُم النّارُ وبِئسَ المِهادُ[2]، فاسْمُ الإشارَةِ جمَعَ تلكَ الأوْصافَ وصبَّها عَلَيهِم؛ لِتَكونَ سَببًا في دُخولِ النّارِ.

**فائدَةُ الإخْبارِ بِالجُملةِ الاسْميّةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾:**

قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ جملةٌ اسميَّةٌ وقعَتْ خبرًا لقولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾، وفائدةُ الإخبارِ بِها أنّهم لَمّا لم يتوقّعوا لقاءَ الحقِّ ﷻ؛ انْكبّوا عَلى الملَذّاتِ والشّهواتِ، ورَكَنوا إلى الدُّنيا، وغَفلوا عَنْ آياتِه تَعالى الكونيّةِ والتّكليفيّةِ، فكانَ ذلكَ تأكيدًا لِمدعاةِ الحُكمِ عَليهم وهوَ أنْ يكونَ مأواهُم النّارَ[3].

الغَفْلَةُ عَن آياتِ اللهِ سُبحانَهُ تورِثُ الانْكِبابَ عَلى الشَّهواتِ

**سِرُّ التَّعبيرِ بالنّارِ دونَ جهنّمَ:**

عبّرَ بالنّارِ في قولِه تعالى: ﴿مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ دونَ اسْمِ جهنّمَ؛ لأنّهُ أرادَ الإشارةَ إلى أنَّ هذهِ الأرواحَ كانتْ مُنغمسةً مُسْتغرقةً في حبِّ الشّهواتِ الجسمانيّةِ والمَلذّاتِ المادّيّةِ معَ غَفلتِها عنِ الفيوضاتِ الرّوْحانيّةِ، فحينَ يموتُ الإنسانُ وتقعُ الفُرقةُ بينهُ وبينَ ما كانَ يحبُّ منْ تلكَ المُلْهياتِ؛ فإنّهُ بمنزلَةِ مَنْ يَحترقُ بنارٍ ويَتألّمُ[4]، فالآيَةُ ذَكرتِ النّارَ باعْتبارِ إيقاعِ الألَمِ على المنْكرينَ بِمَعناهُ الحِسّيِّ، وبِمَعْناهُ المَعْنويِّ، فَهُم يَحترقونَ مَرَّتين، مرَّةً بِنارٍ مَحْسوسَةٍ، ومرَّةً بِنارِ مُفارقَةِ مَلَذّاتِ الحياةِ الدُّنيا.

الاحْتِراقُ يَكونُ بالنّارِ المَحسوسَةِ وبِنارِ مُفارَقَةِ مَلَذّاتِ الحَياةِ الدُّنْيا

**مَعْنى الباءِ في: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾:**

الباءُ في قولِه تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ تُفيدُ مَعنى السّببيّةِ[5]،

الباءُ دالّةٌ على السَّبَبيَّةِ فَعَذابُهم بِسَبَبِ أعْمالِهِم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/100.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 15/25.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3521.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 8/229.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/100.

ومعْنى الآيةِ يَشِي بأنّ أعمالَهُمُ السّالفةَ هيَ السّببُ في حدوثِ هذا العذابِ لَهم[1]، كقولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّـهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾ [الحج: 10].

### نُكْتَةُ الإتْيانِ بِالاسْمِ المَوْصولِ:

الإيماءُ إلى عِلّةِ الحُكمِ لِتأْكيدِ السّببيّةِ

الإتيانُ بالاسمِ الموصولِ (ما) في قولِه تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ يومِئُ إلى علّةِ الحكمِ، والمعْنى: أنَّ مكسوبَهم علّةٌ في أَنْ كانَ مصيرُهم إلى النّارِ؛ فالاسمُ الموصولُ أفادَ تأكيدَ السّببيّةِ الحاصلةِ بموجَبِ الباءِ[2]، وجيءَ بـ (ما) دون (الّذي) للدّلالةِ على العمومِ، دونَ قَصْدِ الإشارةِ إلى شيءٍ مَخصوصٍ بذاتِهِ.

### فائدَةُ ذِكْرِ ﴿كَانُوا۟﴾:

الدّلالةُ عَلى أنَّ هذا المَكْسوبَ دَيْدَنُهُم

أفادَ ذكرُ الفعلِ النّاقصِ ﴿كَانُوا۟﴾ في قولِه تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أنّ كسبَهم كان طبعًا غالبًا عَليهم[3]، وللدّلالةِ على أنّ الّذي اكْتَسَبوهُ إنّما هو دَيْدنُهم[4] وخصْلَتُهُم الّتي لا يَستطيعونَ عَنْها فِكاكًا، فَلَم يَكُن ما صَدَر عَنْهم مِن إنْكارِ البَعْثِ والرّضا بالحياةِ الدُّنيا والاطْمِئنانِ بها أمرًا عابرًا، بَل هوَ حَياةٌ وسُلوكٌ دائمٌ لا يَفترُ، ولا يفترُ صاحبُهُ عَنْهُ.

### غَرَضُ التّعبيرِ بالمضارعِ: ﴿يَكْسِبُونَ﴾:

تَأْكيدُ تَكرارِ الكَسْبِ الصّادِرِ عَنِ المعانِدينَ

عبّرَ بصيغةِ المضارعِ ﴿يَكْسِبُونَ﴾ في الآيَةِ للدّلالةِ عَلى تَكريرِ فِعلِ الكَسْبِ السَّيِّئِ مِنهُم؛ فقدْ كانَ هذا دأبَهم، وما زالوا مُستمرّين على ذلكَ في ماضي زَمانِهِم ومُسْتَقْبلِه[5]، وهو الّذي أوردَهُم نارَ جَهنّمَ لِقُبْحِهِ وشَناعَتِهِ، فَقامَ التّعبيرُ بالمضارعِ مَقامَ التّأكيدِ لِما

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/212.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/100.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/78.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/100.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/16.

أفادَهُ ذِكْرُ الفِعلِ ﴿كَانُواْ﴾، وهذا مِن بَديعِ الائْتِلافِ بينَ مُفْرَداتِ النَّظمِ القُرآنيِّ.

**فائِدَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ: ﴿يَكْسِبُونَ﴾:**

اشْتِمالُ الكَسْبِ عَلى جَميعِ الأَعْمالِ الباطِلَةِ، أوْ تَنْزيلُ الفِعْلِ مَنْزِلَةَ اللّازِمِ قَصْدَ التَّلَبّسِ بِهِ

حُذِفَ متعلّقُ فعلِ الكسْبِ في قولِه تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾، وذلكَ يُفيدُ عُمومَ ما كَسبتْهُ أَيْديهِم مِنَ الأعْمالِ، أيْ: يَكْسبونَ مِنَ المعاصِي والذّنوبِ والكُفْرِ والتّكذيبِ[1]، أوْ تَنْزيلَ الفعلِ مَنْزِلَةَ اللّازمِ قَصْدَ التّلَبّسِ بهِ كأنّهُ جعلَ الفعلَ مُتلبّسًا بفاعِلِهِ كَأفْعالِ السّجايا اللّازمَةِ للفعلِ القائمَةِ بِهِ، بمَعْنى: أيّ كَسبٍ يَكسبونَهُ صَغيرًا كانَ أوْ كَبيرًا، فإنّهم مَجْزيّونَ مُحاسَبونَ على جَميعِ ما يَكسِبونَ.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### الرِّضا والطُّمَأْنينَةُ:

الرِّضا قَبولٌ وتَشَبُّعٌ بالمَرْضيِّ بِهِ، والطُّمَأْنينَةُ سُكونٌ بَعْدَ انْزِعاجٍ

الرّضا ضِدُّ السّخطِ؛ وهوَ القبولُ والقناعةُ، وهوَ التّشبُّعُ والامتلاءُ للنّفسِ رقّةً ولَطافةً[2]، أمّا الطّمأنينةُ فهي السّكونُ بعدَ الانزعاجِ[3]، والفَرقُ بينهُما واضحٌ، وقدْ عبّرَ بالمفْرَدَتينِ في قولِه تعالى: ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾؛ لتكاملِهما معنًى، بادئًا بالرّضا، فقدْ تشبّعوا بالحياةِ الدّنيا ومَلذّاتها وشَهَواتِها، فإذا تَشبّعوا سَكَنتْ نفوسُهم إلَيْها وآثَروها ورَكَنوا إلَيْها؛ فعابَ عَلَيْهِمُ المَوْلى تَعالى فِعلَهم ذاكَ في هذهِ الآيةِ[4].

### المأْوى والمثْوى:

المأْوى مَكانُ إيواءِ النّاسِ بِسَعيٍ وعَمَلٍ، والمَثْوى مَكانُ الإقامَةِ مُطْلَقًا

المَأْوى: اسمُ المكانِ الّذي يَأْوي إلَيْهِ النّاسُ فيَرْجعونَ إلى مَصيرِهم ومَرْجِعِهم[5]، ويَكونُ بعدَ سَعْيٍ وتَحصيلٍ لِلوصولِ إليْهِ، أمّا

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/312.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (رضو - رضى).
(3) الراغب، المفردات: (طمن).
(4) أبو عبيد، غريب الحديث: 2/203.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/100.

المَثْوى: فهوَ المكانُ الَّذي يُقامُ فيهِ[1] فَيَبْلُغهُ المرءُ بعدَ عناءٍ ومُكابدةٍ، ويَصلُ إليهِ منْ غيرِ تخطيطٍ ولا تدبيرٍ سابقٍ، سواءٌ أكانَ مَثوى سوءٍ، أوْ مَثوى راحَةٍ وكرامَةٍ، وقدْ أُطْلقَ المَأْوى عَلى النّارِ في هذهِ الآيَةِ، وفي القُرآنِ الكَريمِ أكْثرَ منْ إطلاقهِ على الجنّةِ، وفي إطلاقِهِ على دارِ العَذابِ مَغزًى دقيقٌ في البلاغةِ؛ إذْ فيهِ إشعارٌ بأنَّ منِ اطْمأنَّتْ نفسُهُ بالشّهواتِ وغفلتْ عنِ الآياتِ لا مصيرَ لهُ ولا ملجأَ بعدَ أهوالِ القيامةِ إلّا جَهَنّم دارَ العَذابِ، فهيَ مَأواهُ ومَلجَؤهُ، وكأنّهُ بشهواتهِ ومَلذّاتهِ قدْ سَعى وخطَّطَ لِلوصولِ إليها[2].

## الكَسْب والعَمَل:

الكسْبُ: هوَ الفعلُ الّذي يعودُ على فاعلهِ بنفعٍ أوْ ضرٍّ، والكسبُ ما يقعُ بمراسٍ وعلاجٍ، وهوَ ما فُعِلَ بجارِحَةٍ[3]، والكسبُ يحصلُ بالابتغاءِ والطّلبِ ويقترنُ كثيرًا بأفعالِ السّوءِ؛ ولذلكَ وردَتْ مفردةُ ﴿يَكْسِبُونَ﴾ سببًا وعلّةً لِمَن يكونُ مصيرُ أصحابِها النّارَ كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: 96]، ومِثْلها ما وردَ في هذهِ الآيةِ تمامًا؛ فإنَّ كَسبَهُم السّيئاتِ أوْرَدَهُمُ النّارَ، وفي ذلكَ مَغْزًى دقيقٌ وهوَ أنَّ التّعبيرَ بالفعلِ ﴿يَكْسِبُونَ﴾ فيهِ تبشيعٌ لحالهِم، فكأنَّ ابتغاءَهم وتحصيلَهم وطلبَهم قدْ أوْرَدَهُمُ المَهالِكَ، وهُم يَظنّونَ أنّ فيهِ فَلاحَهُم، أمّا العَمَلُ فَهوَ عامٌّ في كلِّ ما يمارَسُ منْ عملٍ[4].

**الكَسْبُ ابتغاءٌ وتَحصيلٌ، والعملُ عامٌّ في كُلّ ما يُمارَسُ مِن فِعْلٍ**

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثوي).
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/252.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 453.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كسب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 18 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-15-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 18 : المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-15-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»